www.quranonlinelibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه وبعد:

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله، في مقدمة كتابه:" منجد المقرئين": " ولا ينبغي لمن وهبه الله عقلاً وذهناً وعلماً أن يهجم على كل ما وقع، ولكن ينظر كما نظر من قبله فالحق أحق أن يتبع " اهـ

وقال الشيخ أبو العباس أحمد زرّوق الفاسي رحمه الله (ت ٨٩٩هـ) في كتابه " تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول):

" العلماء مصدّقون فيما ينقلون لأنه موكولٌ لأمانتهم، مبحوث معهم فيما يقولون لأنه نتيجة عقولهم، والعصمة غير ثابتة لهم، فلزم التبصر طلباً للحق والتحقيق، لا اعتراضاً على القائل والناقل "اهـ

وإن مما ينبغي الوقوف عنده، والبحث فيه، ما سمي ب " الخصومة " بين الإمامين الجليلين، والمقرئَين المحققَين: أبي العباس أحمد بن عمار، المشهور بالمهدويّ (توفي حدود سنة ٤٤٠ هـ) و أبي عمرو عثمان بن سعيد، المشهور بالداني (ت ٤٤٤هـ) رحمة الله عليهما، وجمع بيننا وبينهما في دار الخلد يا أكرم الأكرمين.

لستُ معنياً في هذا المقال بالخصومة بينهما، ولا الكلام فيها، من حيث وقوعها من عدمه، ولا اتخاذ موقف الحكَم بينهما؛ فهذا شأنٌ وقدرٌ كتبه الله تعالى عليهما، وعلى كثير غيرهما، من كبار الأقران على مرّ العصور والدهور، ومن السخف والنكد البحثُ فيه وفي تحليله، و أقبح من ذلك عندي الوقوف – ولو بالإشارة – مع أحدهم ضد الآخر!

وأما مرادي من هذا المقال، فهو متعلق برسالة الإمام الداني رحمه الله، الموسومة ب:

" رسالة التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه "

والإجابة على السؤال: هل هي فعلاً كتبها الإمام الداني للرد على الإمام المهدوي رحمه الله؟

هذا ما أحاول دراسته والإجابة عليه، بكل حيادية وأمانة علمية، والله أسأل التوفيق والسداد.

أقول، والله الهادي إلى الحق والصواب:

www.Quranonlinelibrary.com

انتشر بين طلاب علم القراءات، موضوعٌ سمّاه بعض الباحثين " خصومة بين الإمامين: الداني والمهدوي " رحمهما الله تعالى، وكنت قد علمتُ ببعض ما جرى بينهما، قبل ما يقارب (٣٧) سبعة وثلاثين سنة، عندما كنت أقرأ على شيخي العلّامة: محمد الأمين ابن أيدّه الجكني، رحمه الله، منظومة " الدرر اللوامع " للإمام ابن برّي رحمه الله، حيث كان شيخي كثير الاهتمام بكتاب " إيضاح الأسرار" للشيخ ابن المجراد السلوي، رحمه الله.

وأذكر أني لما قرأتُ عليه ما في الكتاب المذكور، نقلاً عن الشيخ الصفار رحمه الله، قال لي ما معناه: هذا مما يقع بين الأقران، فلا تهتم به، فكلاهما فحل من فحول علماء القرآن.

وبسبب هذه النصيحة القيّمة، والعبارة المباركة من شيخي رحمه الله، مررت على الموضوع مرور الكرام، فلم أعبأ به، ولم أفكّر فيه.

لكن، لاحظت أمرين:

الأول: جلّ من كتب عن هذا الموضوع بين الإمامين رحمهما الله؛ يجعل – بل يصرّح – أن الإمام المهدوي رحمه الله، كان هو البادئ بهذه الخصومة!

الثاني: كل الذين اطلعتُ على كلامهم في هذا الموضوع، كتبوه بصيغة يُفهم منها عدم وقوفهم على مسافة واحدة بين الإمامين رحمهما الله، بل كل عباراتهم يفهم منها الميلُ إلى جانب الإمام الداني، وكأن الإمام المهدوي، رحمه الله، أمام الإمام الداني هو تلميذٌ أو طويلب علم! حتى إن أحد الشيوخ القدماء، وهو الشيخ أبو عبد الله الصفار، رحمه الله، قال بالحرف الواحد: " فسُقِط في يد المهدوي وتمنّى أنه لم يسأله، وبقي فيها كيوم ولدته أمّه !!" اهـ كما سيأتي بعد قليل.

والشيخُ الصفار رحمه الله، هو المصدر الوحيد – فيما اطلعتُ عليه – الذي أشار إلى تنكيت الإمام المهدوي، على الإمام الداني، رحمهما الله، ولم يسمّها " خصومة " مما يدل على أن ما كان بينهما لم يرق إلى أن يسمى بذلك، والله أعلم، ومَن ذكرها بعده؛ فإنما يعزوها إليه وينقلها عنه.

أما من المعاصرين، فالعجب أكثر؛ إذ صُوّر فيها الإمامُ الدانيُّ رحمه الله، وكأنه ملاك من ملائكة الله في أرضه، و أنه الملك الذي ملك " دانية " وأهلَها، وأنهم يدينون له بالولاء العلمي، و أنه فارس ميدانها، ولا يحق لأحد الكلام في العلوم فيها بما يخالف الداني ومذهبه! وكأن هؤلاء لم يعلموا أن الإمام ابن شريح

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رحمه الله – وشهرته عند الأندلسيين أكبر من شهر المهدوي – قد ألّف كتاباً سمّاه " الانتصاف من الحافظ أبي عمرو الداني في ردّه ترقيق راء مريم "!

وفي الصورة المقابلة: صُوّر فيها الإمامُ المهدويُّ رحمه الله، على أنه هو الوافد، الغريب، الطارئ على الأندلس، و أنه هو الذي هجم على الأسد في عرينه واستثاره!، و أنه من العسير أن يجد بدانية من القبول والحفاوة والشهرة ما يزاحم به مكان الإمام أبي عمرو في ريادته ورياسته، أو يحظى به عند الأمير مجاهد العامري" اهـ

أقول: لما رأيت هذه هي نظرة بعض القدماء، وبعض المعاصرين، لما جرى بين هذين الإمامين رحمهما الله، إذ كتبوا ما كتبوا بلغة الانتصار للداني؛ بلسان حالهم لا مقالهم، مع اتفاقهم – بدون أي دليل علمي - على أن البادئ بهذه الخصومة، هو الإمام المهدوي رحمه الله، واطلاعي وقراءتي ودراستي:

" رسالة التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه "

وهي الرسالة التي ذكر جميعهم أن الداني رحمه الله، ألّفها في الرد على المهدوي:

أحببتُ تسجيل وتدوين بعضَ ما عنّ لي، بعد مطالعتها وقراءتها بتمعن، ومدارسة بكل حيادية، وكتابة بعض التساؤلات التي تؤكد ما سأذهب إليه في نهاية المقال، متبعاً منهج البحث العلمي.

وقد بنيته على وجهتين:

الأولى: خارجية، و أقصد بها وجهة النظر من خارج " رسالة التنبيه".

الثانية: داخلية، و أقصد بها وجهة النظر من داخل الرسالة المذكورة.

فأقول والله الموفق:

أولاً: الوجهة الخارجية:

أقدم نص أشار إلى أن " رسالة التنبيه " هي في الرد على المهدوي:

قد يعجب الباحث المنصف المحايد، عند ما يعلم أن الأندلسيين المعاصرين للإمامين رحمهما الله، وأعني بهم الذين ترجموا للإمامين، لم يشيروا، أو يذكروا أن " خصومة " كانت بين هذين الإمامين،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فضلاً عن أن يكون الإمام الداني ألّف رسالة " التنبيه " للرد على المهدوي، رحمهما الله، فلم يشر إلى هاتين المسألتين أصحابُ الكتب المهمة في تاريخ الأندلس وعلمائها، أعني:

١- كتاب " جذوة المقتبس للحميدي" وقد توفي صاحبها سنة (ت ٤٨٨هـ) وهو أقرب المؤرخين للإمامين، إذ وفاته بعد وفاة الإمام الداني ب (٤٠) سنة.
٢- وكذلك كتاب " الصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ).
٣- وكتاب " بغية الملتمس للضبي: (ت ٥٩٩هـ).
٤- وكتاب " نفح الطيب للمقرّي: (ت ١٠٤١هـ).

وكل هؤلاء – رحمهم الله - قد ترجموا للداني والمهدوي، رحمهما الله، غير الأخير فلم يترجم للمهدوي! ومع ذلك فكلهم لم يشروا ولو بطرف خفي لما كان بين هذين الإمامين فيما نُقل عنهما، والله أعلم.

وأول من ذكر الخلاف بين الإمامين – فيما وقفتُ عليه – هو الشيخ أبو عبد الله الصفار (ت ٧٦١هـ) رحمه الله، أي بعد وفاة الداني رحمه الله ب (٣١٧ سنة)! حيث قال – رحمه الله - بالحرف الواحد، في باب " النقل " من كتابه " الزهر اليانع في قراءة الإمام نافع ":

" وأظّن أن أبا العباس ينكت على الإمام أبي عمرو بهذا..... وما زال المهدوي قبل أن يعرف قدر الحافظ يعترض عليه، حتى إنه كلّف الأمير مجاهداً نضّر الله وجهه، أن يكلّف الحافظ الجواب عن أسولة حرّفها المهدوي، وأجابه عليها في جزء سماه " الأجوبة المحققة عن الأسولة المحرّفة ..... فألقى عليه الحافظ مسألة واحدة سمّاها الستينية، ضمنها ستين سؤالاً في الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها نحو: يضيئ – بريئ ، فسقط في يد المهدوي وتمنّى أنه لم يسأله، وبقي فيها كيوم ولدته أمه " اهـ

ثم قال رحمه الله: " وعززها الحافظ برسالة " التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه " وكتب بها إلى الموفق أبي الجيش في شأن المهدوي "اهـ

قوله رحمه الله: " ينكت " أي: يشير، وليس المراد أنه " يطعن "؛ لأن هذا هو المتعارف عليه في مصطلحات العلماء، قال الإمام الزبيدي رحمه الله:" ونَكَتَ فِي العِلْمِ بِمُو افَقَةِ فُلانٍ (أَو مُخَالَفَةِ فُلانٍ) أَشَارَ، وَمِنْه قَوْلُ بَعْضِ العُلَماءِ فِي قولِ أَبي الحَسَنِ الأَخفش: قد نَكَتَ فِيهِ بخِلافِ الخَلِيلِ " اهـ بنصه. تاج العروس: (ن ك ت).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قلتُ: هذا أقدم نصّ وصلنا – فيما أعلم - فيه التصريح بما كان بين هذين الإمامين رحمهما الله، بل هو النصّ الوحيد بهذا التفصيل، والشيخُ الصفاررحمه الله، هو المصدرالوحيد – فيما اطلعتُ عليه – الذي أشار إلى تنكيت الإمام المهدوي، على الإمام الداني، رحمهما الله، مع ملاحظة مهمة، وهي أنه لم يسمّها " خصومة" مما يدل على أن ما كان بينهما لم يرق إلى أن يسمى بذلك، والله أعلم، ومَن ذكر ذلك بعده؛ فإنما يعزوها إليه وينقلها عنه.

والعجب أن شيوخاً قبل الشيخ الصفار؛ لم يذكروا أثناء كلامهم في باب " النقل " ما كان بين الإمامين، ولم يشيروا إليه البتة، مع تصريحهم بذكر قول كل واحد منهما، ولم يذكر أحدٌ – غيرُ الشيخ الصفار– أن المهدوي في تعليله وجه النقل بأنه للتخفيف، كان يقصد الرد والتنكيت – الإشارة - على الداني، ومن هؤلاء العلماء الشيوخ:

١- أبو عبد الله محمد بن علي، الشهيربابن القصّاب، رحمه الله: (ت ٦٩٠هـ) في كتابه (تقريب المنافع في حروف نافع).
٢- الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي، إمام الرسم والضبط، المشهوربالخراز، رحمه الله (ت ٧١٨هـ) ، في كتابه (القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدررااللوامع).
٣- الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد ابن آجروم (ت ٧٢٣هـ) في شرحه للشاطبية المسمى:" فرائد المعاني في شرح حرزالأماني ".

وهؤلاء الثلاثة كلهم من الكبار، ووفياتهم قبل وفاة الشيخ الصفاررحمهم الله أجمعين.

٤- ويضاف لهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، المشهوربالمنتوري (ت ٨٣٤هـ) في شرحه على " الدررااللوامع"

وكل هؤلاء الأئمة قد ذكروا في باب " النقل " مذهبي الإمامين رحمهما الله، ولم يتعرضا لكون المهدوي (نكت) على الداني، أو أن الداني ردّ على المهدوي برسالة " التنبيه ".

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولو دققنا النظر في النص الذي كتبه الشيخ الصفار رحمه الله، نجده بناه على " الظنّ "! وذلك قوله:" وأظنّ أن أبا العباس ينكت على أبي عمرو" وما بُني على مقدمة ظنية؛ فنتيجته حتماً كذلك، فهو لا يرتقي إلى التأكيد إلا بدليل خارجي، ولم أجده إلى الآن.

فأما قول الشيخ رحمه الله:" وأظنّ أن أبا العباس ينكت على الإمام أبي عمرو بهذا " فظاهره – مع أنه ظنّ – أن الإمام المهدوي ذهب إلى علة التخفيف وتوجيهها، لغرض الرد على الداني، الذي ذهب إلى قول آخر مخالف له، وكأن المهدوي رحمه الله، يخطّئ الداني رحمه الله، في شخصه! وهذا – عندي – مردود:

١- الإمام المهدوي رحمه الله، كتب مذهبه في النقل قبل أن يدخل الأندلس، ولا يبعد أن يكون قبل ان يسمع بالداني او يعرفه؛ لأن المهدوي كان في افريقية، والداني في الأندلس ولم يخرج منها إلا سنة (٣٩٧هـ)، ولا أعتقد أنه كان يجهل الأقوال في تعليل النقل، وهو الإمام المطلع على العربية ونحوها؛ إذ يندر أن يتولى تعليل القراءات وهو غير مطلع على مذاهب النحويين واللغوين قبله، والله أعلم.
٢- القول الذي اختاره الإمامُ الداني، اختاره أيضاً غيرُه من العلماء، ومنهم مكيّ بن أبي طالب رحمه الله، فما المانع – إذا كان المهدوي رحمه الله يقصد الرد على الأشخاص – أن يكون قصده الرد على مكي رحمه الله؟ فهو أكبر منه سناً، وربما اطلع على كتبه، خاصة و أنه " بلديّه " و"تونسيٌّ " مثله، وما منعه من التصريح به إلا مكانته عنده؛ إذ هو في مرتبة شيوخه، فالمهدوي يرد على القول دون النظر إلى من قاله، وهو لا يقصد الداني ولا غيره، بل يقصد أصحاب القول.
٣- القول بأنه يرد عليه في مسألة النقل قول فيه كثير من المجازفة، ولا أدري لماذا أقحم الشيخ الصفار رحمه الله، مسألة التنكيت بين الامامين في شرحه، مع أني لم أجد أحداً من الشراح قبله ذكرها- وتبعه ابن المجراد، وتركها الشريشي، والقصاب، والمنتوري، رحم الله الجميع!

والخلاصة في هذه النقطة هي:

لا يوجد مصدر أشار إلى ما سمي بالخصومة بين الإمامين، وأن " رسالة التنبيه " هي للرد على المهدوي، غير الشيخ الصفار رحمه الله، ولا يقال هنا:" إن من حفظ حجة على من لم يحفظ "؛ لأن الشيخ الصفار رحمه الله، لم يحضر القصة، ولم تكن في زمنه أصلاً، وهذا فيه ما فيه، والله أعلم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

و أيضاً: أن الشيخ الصفاررحمه الله، مع تصديركلامه بالظن، وعدم ذكره مستنده في كلامه هذا، فضلاً عن إسناده، فيبقى كلامه رحمه الله حكاية لا دليل عليها، إذ لا يشك باحث منصفٌ في أن مثل هذه الأمورالمهمة لا يُكتفى فيها بالنقل المجرد عن ذكرالمصدر، لمن عاصرالأمر، فكيف وقد حالت ثلاثة قرون كاملة بين هذين الإمامين، وبين أول من ذكرعنهما هذا التنكيت، الذي سماه بعض المتأخرين " خصومة "! والأولوية هنا هي بحسب ما وصلنا، فلربما وجِد من العلماء قبل الشيخ الصفار رحمه الله، من ذكرذلك، وهذا الظن به رحمه الله، ولكن البحث إنما هو في الموجود، لا فيما يظن أنه موجود.

تنبيه: قولي:" يبقى كلامه حكاية لا دليل عليها ": أريد به: نسبته رسالة " التنبيه " على أنها للرد على المهدوي، ولا أقصد المنازعة في " الخصومة " بين الإمامين رحمهما الله، فتلك مسألة أخرى، لا تخلو أيضاً من نظر.

هذا ما أردت بيانه فيما يتعلق بالقول إن رسالة " التنبيه " للداني، هي في الرد على الإمام المهدوي، رحمهما الله، من " خارج " الرسالة نفسها، وآمل أن أكون قد بينت النظرالعلمي المجرد في ذلك، والله الموفق.

ثانياً: الوجهة الداخلية:

فأقول، وعلى الله أتكل وأعتمد:

أولاً: لم يُبيّن الإمام الداني رحمه الله، اسم هذا الرجل المردود عليه في هذه الرسالة، و إنما ذكره بوصف عام، ينطبق على كل أحد ممن كان يصلي في " مسجد يحيى بن عمارالطليّ " وعلى كل رجل يدّعي علمه لعلم القراءات! فقصْره على الإمام المهدوي، محتاجٌ إلى دليلٍ خارجيّ من الإمام الداني نفسه – لا من أحد غيره – غيرهذه العبارة ، وهذا الوصف، وهو ما لم أجده إلى الآن.

والسؤال المفترضُ طرحه هنا هو:

من أين عرف الشيخ الصفاررحمه الله – وهو جاء بعد الإمامين رحمهما الله ب (٣١٧ سنة) – أن الإمام الداني قصد الرد على الإمام المهدوي بهذه الرسالة؟

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولماذا لم يُشر أحدٌ من المعنيين بالتراجم بذكر ما جرى بين الإمامين، حتى وإن لم يسمّه " خصومة "، وذكر أن رسالة " التنبيه " هي للرد على المهدوي؟ خاصة وأن مما اعتنى بها المؤلفون في التراجم ذكرَ الخصومات بين الأقران والإشارة إليها ولو باختصار؟

و أيضاً: الإمام المهدوي رحمه الله، دخل الأندلس، ومباشرة التقى مع أميرها، الذي عرف مكانته، فهل مَن كان مِن جلساء الأمير، يأتي إلى العامة ويعرض عليهم علمه وادعاءاته في التأليف! هذا لا يفعله عاقل إلا وهو يخطط للوصول إلى علية القوم، والإمام المهدوي رحمه الله، وصل إلى أمير القوم، ونال عنده المكانة والحظوة، وهو أهلٌ لها.

ثم: متى كتب الإمام الداني رحمه الله، هذه الرسالة للرد على المهدوي؟ هل قبل أن يقف مع المشككين في نسبة تفسير " التفصيل " للمهدوي؟ أم بعدها؟

ثانياً: الأوصاف التي وصف بها الإمام الداني رحمه الله، الرجل المردود عليه؛ الإمامُ الداني رحمه الله، هو فيها بين أحد أمرين، أحلاهما مرّ، وهما:

الأمر الأول: أن يكون قاصداً الإمام المهدوي رحمه الله، وهو في هذه الحالة يعلم أن المهدوي ليس ممن يدّعي علم القراءات؛ بل هو عالم فيها حقيقة، ويكون الإمام الداني رحمه الله، قد كذب – وألف حاشاه - في قوله وفجر في الخصومة!، ويكون أولُ المكذبين له هو تلميذه الأمير أبو الجيش، الذي قالوا إن الداني أعطاه هذا الرد، كما سيأتي.

ولا يقال هنا: إن الأقران يكون بينهما ما هو أشدّ من هذا! لأنه سيقال: هذا لو كانت الخصومة بين طرفين ومتكررة، ولم ينقل لنا التاريخ أي شيء يدل على الخصومة بينهما، وما وصلنا – مع أن راويه رواه بالظن - لا يعدو كونه اختلافٌ في تعليل وجه متعلق بعلم الأصوات أو اللغة، ولم ينقلوا لنا غير ذلك، واعتبار مثل هذا " خصومة " إنما تضخيم للموضوع، وإلا اعتبرنا الاختلاف بين سيبويه والأخفش ومدرستيهما هو أيضاً " خصومة "!

الأمر الثاني: أن يكون الإمام الداني قاصداً رجلاً آخر غير الإمام المهدوي، فيكون الإمام المهدوي رحمه الله، بريئاً مما رمى الإمام الداني صاحب أهل مسجد يحي بن عمار، في هذه الرسالة، ويكون من أنزله عليه، قد أخطأ في حق الإمامين الجليلين رحمهما الله.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثاً: هل الإمام الداني رحمه الله، لا يعرف الإمام المهدوي رحمه الله، إلا عندما جاء الأخير إلى الأندلس؟

الجواب: الذي أكاد أجزم به، هو أن الداني كان يعرف المهدوي، كيف لا؟ وهما الاثنان اشتركا في الأخذ عن شيخهما أبي الحسن القصاررحمه الله (ت ٤٠٣هـ)، ولا يبعد أن يكونا التقيا في الفترة بين (٣٩٧-٣٩٩هـ).

و أيضاً: الإمام الداني ترجم للإمام ابن سفيان رحمه الله، وهو شيخ المهدوي رحمه الله، ولا يستبعد أن يكون الداني رحمه الله، علم وعرف أن المهدوي تتلمذ عليه وأخذ منه، و أنه كان من أشهر تلاميذ ابن سفيان، والله أعلم.

رابعا: الإمام المهدوي دخل الأندلس سنة (٤٣٠هـ) وعمره آنذاك حدود ال (٦٠) تخميناً، إن لم يكن تخطاها، بينما عمر الداني في هذه السنة (٥٩) سنة: فتكون هذه الرسالة أُلّفت والاثنان قد وصلا مرحلة عالية في العمر والعلم، ولا تخفى منزلة أحدهما عن الآخر.

خامساً: قول الداني في مقدمة رسالته:" أن هذا الإنسان .... يجب التحذير منه ويلزم الانحراف عنه لأمور منها: ظهور كذبه، وسوء مذهبه، و إفراط جهله، وقبيح معتقده " اهـ

أقول:

الإمام المهدوي رحمه الله، أول ما دخل الأندلس اتصل بحاكمها مجاهد العامري رحمه الله، وحظي عنده بالمكانة اللائقة به؛ واختصر من أجله كتاب " التفصيل " وأعطاه الخليفة عليه المال الكثير: فهل خفي على هذا الخليفة العادل، العالم، المقرئ، المجاهد، أمر الإمام المهدوي، و أنه كذاب، وصاحب مذهب سوء، وجاهل مفرط في الجهل، وقبيح المعتقد؟

والسؤال:

لماذا لم يوجّه الإمام الداني رحمه الله، هذا التحذير للخليفة، خاصة و أنه كان يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وذا حظوة عنده لم يصلها غيره من علماء عصره؟ ولماذا يوجهها للعامة، بل لأهل مسجد من مساجد البلد؟

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هذا، ولم يصرح أحدُ ممن ترجم للإمام المهدوي، رحمه الله، أنه كان يصلي في مسجد " يحي بن عمار" ولا غيره من مساجد دانية، ولو كان هذا المردود عليه هو المهدوي، لما غفل المترجمون عن بيان هذه النقطة، إذ نرى كثيراً منهم يذكرون أسماء مساجد العلماء المترجم لهم.

ثم: لو كان هذا المردود عليه هو المهدوي، لكان أهل " مسجد يحي بن عمار" قد عرفوه وعرفوا مكانته، على الأقل في حفظه للقرآن الكريم وقراءاته.

سادساً: بنى الإمام الداني رسالته على ادعاء هذا الرجل المردود عليه، أنه ألّف كتاباً سمّاه " البرهان على علوم القرآن "!

و أقول:

أولاً: لماذا لم يقل الداني إن هذا الرجل سمّى كتابه:" التفصيل الجامع لعلوم التنزيل " أو سمّاه " التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل " خاصة وأن المصادر تشير إلى أنه – الداني – كان ممن طعن في نسبة الأول للمهدوي رحمهما الله.

و أيضاً: لا يوجد – حسب ظني – أحدٌ صرح بأن للمهدوي رحمه الله، كتاباً يسمّى " البرهان على علوم القرآن"، وإذا كان ذلك كذلك – وهو إن شاء الله كذلك – فسد القولُ بأن المردود عليه في هذه الرسالة هو الإمام المهدوي رحمه الله.

فلو كان الداني يرد على المهدوي – رحمهما الله - في هذه الرسالة: لماذا جعل ردّه بواسطة جواب لسؤال أهل مسجد؟ ولماذا الناس لم يقولوا إنه المهدوي؟ ولماذا لم يكتب الداني الرد مباشرة دون انتظار سؤال من عوام؟

و أيضاً: هل الفترة التي التقى فيها الداني والمهدوي سمع فيها الداني المهدوي يقول إن له كتاب البرهان؟ المهدوي أخبر أهل المسجد بأن له كتاباً بهذا العنوان، ولم يخبر به طلابه وتلاميذه ومريديه؟ ولو في مجلس خاص؟

الناس نقلوا ما قاله المهدوي في مجلس، يقال إنه عرّض فيه بالداني، فقام بالرد عليه تلميذ للداني، فكيف لم ينقل عنه موضوع هذا الكتاب؟ ولا يُعلم إلا من خلال أهل المسجد، الذين لا نعرف مكانتهم في العلم والأمانة في النقل!

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سابعاً: في الرسالة نقل الداني عن أهل مسجد يحي بن عمار أن صاحبهم يقول إن أهل الحجاز و أبا عمرو أبدلوا الهمزة الثانية في (ءأنذرتهم) وبابه، ألفاً محضة! ثم بدأ يشنع على صاحب هذا القول، وهو مصيب في ذلك بلا ريب، وهذا يدل على أن هذا المردود عليهن قطعاً ليس هو الإمام المهدوي رحمه الله؛ لأن الذي ذكره في كتبه هو عكس هذا تماماً، بل المهدوي رحمه الله لم يخالف المنقول المتواتر عن أهل الحجاز و أبي عمرو.

وهنا مشكلة يواجه بها الذين نصوا على أن المردود عليه هو المهدوي رحمه الله، وذلك بأن يقال:

كيف يكون الإمام الداني رحمه الله، وهو الإمام المطلع على كتب القراءات في عصره وقبل عصره: يصدق بهل هذه المسجد، وهو قطعاً يعرف مكانة المهدوي في القراءات، و أنه قرأ على ابن سفيان رحمه الله، أيعقل أن يكون أحد تلاميذ ابن سفيان ويقول هذا القول الذي لم ينقله أحد من أهل التحقيق في القراءات رواية ودراية!

و أيضاً: الظن بالإمام الداني رحمه الله، أن يكون اطلع على تفسير " التفصيل " و " التحصيل " بدليل أنه أنكر على المهدوي رحمه الله تأليفه، أفلم ير المهدوي وهو يقرر مذهب أهل الحجاز و أبي عمرو في هذه الكلمة وهذا الباب؟

ثامنا: هل كان الإمام المهدوي رحمه الله، من أهل السذاجة والغباء حتى يدّعي تأليف كتاب لم يؤلفه؟

تاسعاً: إن أول عبارة للداني في رسالته توحي إلى أن المردود عليه ليس هو الإمام المهدوي رحمه الله، أعني عبارته:" اعلموا رحمكم الله ن هذا الإنسان الذي ذكرتم عنه هذه المنكرات وأضفتم إليه هذه الجهالات "اهـ

فهذا الإنسان غير معروف عند الداني رحمه الله، بينما المهدوي معروف عنده، ولا يستبعد أن يكون يعرفه حق المعرفة، ويلتقي معه ولو عند الخليفة، مع ما كان بينهما مما يسمّى " خصومة ".

ولو كان الداني يقصد المهدوي، لوجد هذا القول من أهل هذا المسجد فرصة سانحة للتصريح باسمه و انتقاده عياناً بياناً، لا تلميحاً ولا مداهنة؛ إذ هذا لا يُعرف بين الأقران.

عاشراً: ليس في هذه الرسالة ما يدل على أن الداني أهداها أو أرسلها إلى أبي الجيش، كما قال الشيخ القصار رحمه الله، ومن نقل كلامه، ولا أعتقد أن مثل هذه الرسالة ترقى لأن تُهدى لوزير، فضلاً عن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أمير! وليس من الأدب أن يرفع الداني هذه الرسالة إليه، وهي في الرد على أحد جلسائه ومريدي مجلسه، وإلا لكان أقل شيء يفعله هو الطلب من المهدوي الرد على هذا كله، وهو ما لم ينقله لنا أحد من الناس، ولم يشر إليه، وما أرى ذلك إلا لعدم وقوعه أصلاً، والله أعلم.

حادي عشر: في هذه الرسالة قول الداني:" لقد خسرت صفقة من أصغى إلى هذا الإنسان وغلب عقله، وحيل بينه وبين التوفيق" اهـ بنصه.

و أقول: هل نسي الإمام الداني رحمه الله، أن الخليفة مجاهداً رحمه الله، هو أهم شخص أصغى ويصغي للإمام المهدوي رحمه الله، و أنه أحد رواد مجلسه، الذين نالوا عنده المنزلة اللائقة به؟

أم أن الإمام الداني رحمه الله، كان يرسل الرسائل الخفية للخليفة للطعن في المهدوي، ولا يستطيع التصريح بذلك لمكانة المهدوي عنده؟

وأما مسألة أن المهدوي رحمه الله كان هو البادئ بما سمّوه خصومة فأقول:

المنطق يقول إن صاحب البلد هو الذي يتحسس من الطارئ عليه؛ فلو كانت القضية كما صورها بعضهم؛ لكان الداني هو الأولى بأن يبدأ بالخصومة؛ لأنه دخل عليه في بلده وموطنه من قد يكون مثله في العلوم إن لم يبزه في بعضها، ولا شك أن المهدوي ليس أقل من الداني في بعض العلوم.

وأخيراً:

كتبتُ هذا المقال لأحمي جانب العالمين الإمامين- فيما أعتقده حقاً وصواباً -؛ فالجزم بأن المردود عليه هو المهدوي، كما صوّره بعض المعاصرين، تقليداً للشيخ الصفاررحمه الله، أرى أنه من باب التعدي على الإمام الداني رحمه الله، ومن القول بالظن والعجلة من جهة ثانية.

عودٌ على كلام الإمام أبي العباس زروق الفاسي رحمه الله، في قوله:

" ثم إن أتى المتأخر بما لم يسبق إليه فهو على رتبته، ولا يلزمه القدح في المتقدم ولا إساءة الأدب معه؛ لأن ما ثبت من عدالة المتقدم قاضٍ برجوعه للحق عند بيانه لو سمعه، فهو ملزوم به عن أدى لنقض قوله مع حقّيته، لا أرجحيته؛ إذ الاحتمال مثبَتٌ له، ومن ثَمّ خالف أئمة متأخري الأمة أولها ولم يكن قدحاً في واحد منهما." اهـ بنصه وحروفه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هذا ما ارتأيت كتابته، فإن كان صواباً فالحمد لله، وإن كان غير ذلك فالمستغَفر والمتاب إليه هو الله جل جلاله.

ملحوظة:

هذا المقال يتعلق بنفي كون " رسالة التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه" ألفها الإمام الداني للرد على الإمام المهدوي رحمهما الله.

أما نفي الخصومة المشار إليها في المقال فهي موضوع ثانوي، قد يُفرد بمقال آخر إن شاء الله.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية